



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



عليه
صلى
عليه
وآله
وسلم

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir



سلسلة دراسات في عهد الإمام
عليه السلام تأليف الأستاذ
(١٧) وحدة علوم اللغة العربية

ألفاظ طبقات الرعية في عهد الإمام علي (عليه السلام)
إلى واليه الصحابي مالك الأشتر (رضي الله عنه)
دراسة في اللفظ والتركييب



تأليف

د. سحر ناجي المشهدي

إصدارات المؤسسة

إصدارات المؤسسة

١٦

مركز الدراسات والبحوث في اللغة العربية
جامعة بغداد - العراق

٣٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ألفاظ طبقات الرعية في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى واليه الصحابي مالك الأشتر (رضى الله عنه)

كاتب:

سحر ناجي فاضل المشهدى

نشرت في الطباعة:

مؤسسة علوم نهج البلاغة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
6	ألفاظ طبقات الرعية في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى واليه الصحابي مالك الأشتر (رضى الله عنه)
6	هوية الكتاب
6	إشارة
10	مقدمة المؤسسة
14	توطئة
18	الطَبَّقة
24	سنبداً بأولى الطبقات وهي:
24	1. الجنود:
35	2. كتاب العامة والخاصة:
40	3. قضاة العدل:
46	4. عمال الانصاف والرفق
54	5. عمال الخراج:
70	6. التُّجار وذوي الصناعات:
89	الخاتمة
91	المصادر والمراجع:
96	تعريف مركز

ألفاظ طبقات الرعية في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى واليه الصحابي مالك الأشتر (رضى الله عنه)

هوية الكتاب

ألفاظ طبقات الرعية في عهد الإمام علي (عليه السلام)

إلى واليه الصحابي مالك الأشتر (رضى الله عنه)

دراسة في اللفظ والتركيب

سلسلة دراسات في عهد الإمام

علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضى الله عنه) (17)

وحدة العلوم اللغوية

ألفاظ طبقات الرعية في عهد الإمام علي (عليه السلام)

إلى واليه الصحابي مالك الأشتر (رضى الله عنه)

دراسة في اللفظ والتركيب

تأليف م. د. سحرناجي المشهدي

جميع الحقوق محفوظة

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1439هـ - 2017م

العراق - كربلاء المقدسة - مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

ص: 1

إشارة

بحر العلم ومدار الحق

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية 4219 لسنة 2017

ص: 2

سلسلة دراسات في عهد الإمام

علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) (17)

وحدة العلوم اللغوية

ألفاظ طبقات الرعية في عهد الإمام علي (عليه السلام)

إلى واليه الصحابي مالك الأشتر (رضي الله عنه)

دراسة في اللفظ والتركيب

تأليف م. د. سحرناجي المشهدي

ص: 3

جميع الحقوق محفوظة

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1439هـ - 2017م

العراق - كربلاء المقدسة - مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: 07728243600 - 07815016633

الموقع الإلكتروني:

www.inahj.org

الإيميل: Info@Inahj.org

ص: 4

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بها ألهم والثناء با قدم من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فإن من أبرز الحقائق التي ارتبطت بالعترة النبوية هي حقيقة الملازمة بين النص القرآني والنص النبوي ونصوص الأئمة المعصومين (عليهم

ص: 5

السلام أجمعين).

وإن خير ما يُرجع إليه في المصاديق لحديث الثقلين «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» هو صلاحية النص القرآني لكل الأزمنة متلازمة مع صلاحية النصوص الشريفة للعترة النبوية لكل الأزمنة.

وما كتاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) لمالك الأشر (عليه

الرحمة والرضوان) إلا أنموذج واحد من بين المئات التي زخرت بها المكتبة الإسلامية، التي اكتنزت في متونها الكثير من الحقول المعرفية مظهرة بذلك احتياج الإنسان إلى نصوص الثقلين في كل الأزمنة.

من هنا:

ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تخصص حق "معرفيا ضمن نتائجها المعرفي التخصصي في حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)

ص: 6

وفكره، متّخذة من عهده الشريف إلى مالك الأشتر (رحمه الله) مادة خصبة للعلوم الإنسانية، التي هي من أشرف العلوم ومدار بناء الإنسان وإصلاح متعلقاته الحياتية، وذلك ضمن سلسلة بحثية علمية وموسومة ب- (سلسلة دراسات في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله)، التي تصدرها المؤسسة بإذن الله تباعاً، حرصاً منها على إثراء المكتبة الإسلامية والمكتبة الإنسانية بتلك الدراسات العلمية، التي تهدف إلى بيان أثر هذه النصوص في بناء الإنسان والمجتمع والدولة متلازمة مع هدف القرآن الكريم في إقامة نظام الحياة الآمنة والمفعمة بالخير والعطاء والعيش بحرية وكرامة.

وكان البحث الموسوم ب- (ألفاظ طبقات الرعية في عهد الامام علي عليه السلام إلى واليه الصحابي مالك الأشتر رضوان الله عليه دراسة في اللفظ والتركيب) تحت عنوان الدراسات اللغوية اذ

كشفت فيه الباحثة عن طبقات المجتمع التي ورد ذكرها في عهد الإمام علي عليه السلام مع ما تمتاز به كل طبقة.

فجزى الله الباحثة خير الجزاء فقد بذلت جهدها

وعلى الله أجرها والحمد لله رب العالمين.

السيد نبيل الحسيني الكربلائي

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

ص: 8

توطئة

كان العرب في أقطار الجزيرة العربية في بساطة

عيشهم لا يفهمون دقائق القوانين وأنواع المعاش من زراعة وتجارة وقضاء؛ لانعدام ممارستها في حياتهم، فدعاهم الاسلام الى العقائد، والأخلاق، ونشر الاسلام مهد السبيل في مصر؛ لوجود الأقباط، والفلاسفة، والبطالسة الذين مارسوا الحياة المدنية، ولأجلت الإمامة لأميرنا، ومولانا علي بن ابي طالب (عليه السلام) هيأ تعاليم الدين المهمة، فكان صدور عهده هذا لواليه الصحابي مالك الأشتر (رضوان الله عليه) بمثابة إنشاء حياة جديدة في مصر وسنرى في حديثنا في هذا البحث ما تمنخص

ص: 9

فقد عهد الإمام عليه السلام ولاية عن أمور مصر بأجمعها ومنها (الأمور المالية والاقتصادية من جمع الخراج، الأمور العسكرية، الأمور الاجتماعية، عمران البلاد) ولا نجد ذكراً للعاطل عن العمل، وبذلك فإننا لا نجد لمن لا عمل له ذكر في هذا العهد مما يدل على عناية الإمام بتنظيم أمور الحياة فلا وجود لعاطلين، إذ إن المجتمع الإسلامي متساو في الحقوق والواجبات، ويتضح التنظيم الإداري للدولة اتجاه مواطنيها، فتشكل أعمدة المجتمع؛ إذ أقام الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) حكومة أساسها العدالة، والمساواة، وجاءنا بأروع، وأوثق الوصايا، والعهود في عالم الإنسانية، وعهده للصحابي الجليل مالك الأشتر (رضوان الله عليه) أكبر مثال على ذلك، إذ عُدَّ وثيقة دولية أذهلت الشعوب من أقصى الشرق وحتى الغرب، وعبرَّ

فيه عن دروس وقيم إنسانية، وأخلاقية في تولية الحاكم والوالي، وتعامله مع رعيته، فقد أكد مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وثبّه على الاختيار القائم على الكفاءة، فقدمّ طبقات الرّعية على وفق تقسيم أذهل الجميع، نجد خطابه العلوي السياسي على

طريقة أخلاقية لا يبتغي به السيطرة على الأمة؛ بل إبداء الرأي والمشورة، فأشاع العدل، وربط بين صلاح الحاكم واستصلاحه مع حفظ حقوق الرعية، ووضع ركيزة أساسية في تعامل الناس، فأسس منهج قائم على التعاليم الإسلامية، ومجتمع متساوي في جميع الحقوق والواجبات، فقد فهم الطبقات جاع طبقة الجنود هي الأولى؛ لأهميتهم في حفظ الأمن والسلام، وإقامة أركان المجمع الإسلامي، وأخرّ الحديث عن الطبقة السّفلى؛ لأنّها القسم الأكبر في المجتمع، ولحاجتها لجميع الطبقات

المتقدمة، لتحقيق العدالة الإنسانية سواء أكانت السياسية أم الاجتماعية أم الاقتصادية، ومضى ساعياً لرفع الظلم والغبن خلال الفترة التي حكم فيها. و محققاً لقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (1)، فقد أوصى العهد العلوي لمحاولة تأسيسية معرفية منها تجنب الوالي لزلزلاته، ورفقه بالشعب، يقول جورج جرداق (للإمام علي بن ابي طالب في حقوق الإنسان وغاية المجتمع أصول وآراء، تمتد لها في الأرض جذور وتعلوها فروع) (2)؛ لذلك حق لنا تشبيه الامام بالسيف المسلط على الطغاة والجبابة والرأسماليين آنذاك، ولا بد لنا ونحن نخوض في غمار البحث عن طبقات الرعية ان نعطي مفهومها عن معنى الطبقات.

ص: 12

1- النحل/ 90

2- علي وحقوق الانسان: 111

الطَّبَقُ: عَظِيمٌ رَقِيقٌ يَفْصَلُ بَيْنَ الْفَقَارَيْنِ، وَطَبَّقَ بِالسَّيْفِ عُنُقَهُ، أَبَانَهُ، وَهُوَ كُلُّ غَطَاءٍ لَازِمٍ، وَالسَّمَاوَاتُ طِبَاقٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَاحِدَتُهَا طَبَقَةٌ، وَالطَّبَقُ: جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ يَعْدِلُونَ طَبَقًا مِثْلَ جَمَاعَةٍ، وَجَاءَ فِي الْمِثْلِ (وَافِقٌ شَنُّْ طَبَقَةٍ) (1).

وَعَرَّفَهَا ابْنُ فَارِسٍ (ت 390 هـ) بِقَوْلِهِ: (الطَّاءُ وَالْبَاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى وَضْعِ شَيْءٍ مَبْسُوطٍ عَلَى مِثْلِهِ حَتَّى يَغْطِيَهُ. مِنْ ذَلِكَ الطَّبَقُ. تَقُولُ: أَطَبَقْتُ الشَّيْءَ عَلَى الشَّيْءِ، فَالْأَوَّلُ طَبَقٌ لِلثَّانِي؛ وَقَدْ تَطَابَقَا،... وَالطَّبَقُ: الْحَالُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَلَا أُفْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» وَقَوْلُهُمْ: (إِحْدَى بِنَاتِ طَبَقٍ) هِيَ الدَّاهِيَةُ، وَاسْمُهَا

ص: 13

طبقة، لأنها تعمم وتشمّل. ويقال لما علا الارض حتى غطاها: هو طبق الارض (1)

وَالطَّبَقُ غِطَاءٌ كُلُّ شَيْءٍ، وَالْجَمْعُ أَطْبَاقٌ، وَقَدْ أَطْبَقَهُ وَطَبَّقَهُ أَنْطَبَقَ وَتَطَبَّقَ: غَطَّاهُ وَجَعَلَهُ مُطَبَّقًا؛ الطَّبَقُ: كُلُّ غِطَاءٍ لَازِمٍ عَلَى الشَّيْءِ. وطب كل شيء: ماساواة، وجمعه أطباق؛ ومنه قولهم: وافق ش طبقه.. والسماوات الطباق: سُمِّيتَ بِذَلِكَ لِمُطَابَقَةِ بَعْضِهَا بَعْضًا أَى: بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَفِي التَّنْزِيلِ:

«أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا» ؛ قَالَ الرَّجَّاجُ: مَعْنَى طِبَاقًا مُطَبَّقٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَنَصَبَ طِبَاقًا عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مُطَابَقَةُ طِبَاقًا، وَ الْآخَرُ مِنْ نَعْتِ سَبْعِ أَى خَلَقَ سَبْعًا ذَاتَ طِبَاقٍ،، وَكَذَلِكَ طَبَقَاتِ النَّاسِ كُلُّ طَبَقَةٍ طَبَقَتْ زَمَانَهَا: وَالطَّبَقَةُ:

ص: 14

1- مقاييس اللغة: 3/ 639، علما أنّ الآية الواردة هي الانشقاق من 16- 19209

الْحَالُ، يُقَالُ: كَانَ فُلَانٌ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى أَيْ حَالَاتٍ. وَالطَّبَقُ وَالطَّبَقَةُ: الْحَالُ. وَفِي التَّنْزِيلِ: لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ؛ أَيْ حَالًا عَنْ حَالٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: قِيلَ لِلْحَيَّةِ أُمُّ طَبَقٍ وَبَنَتْ طَبَقٍ لِإِطْبَاقِهَا وَتَحَوُّيْهَا، وَقِيلَ: قِيلَ لِلْحَيَّاتِ بَنَاتُ طَبَقٍ لِإِطْبَاقِهَا عَلَى مَنْ تَلَسَّعَهُ، وَقِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ: لَهَا بَنَاتُ طَبَقٍ لِأَنَّ الْحَوَاءَ يُمَسِّكُهَا تَحْتَ أَطْبَاقِ الْأَسْفَاطِ الْمُجَلَّدَةِ (1). وَتَعْنِي الْمَرْتَبَةَ وَالْمَنْزِلَةَ الَّتِي تَقْسَمُ عَلَيْهَا فَنَاتُ الْمَجْتَمَعِ، وَلَفْظَةُ (الطَّبَقَةُ) لِلإِشَارَةِ إِلَى طَبَقَاتِ الْمَجْتَمَعِ. وَقَدْ شَاعَ هَذَا الْإِسْتِعَالُ فِي عَهْدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي سِيَاقِ وَصِيَّتِهِ لَهُ بِمِرْعَاةِ الْفُرُوقِ بَيْنَ الطَّبَقَاتِ. إِذْ يَقُولُ فِي سِيَاقِ ذِكْرِ آخِرِ طَبَقَةٍ مِنَ طَبَقَاتِ الْمَجْتَمَعِ: الْفَتَى أَوْ الْمَرْتَبَةُ الْخَاصَّةُ بِالْفُقَرَاءِ وَالضَّعْفَاءِ مِنَ الرِّعِيَةِ.

ص: 15

1- ظ: لسان العرب: 10

واستعمل لفظ (طبقات) بصيغة الجمع، إذ خصصها الإمام للدلالة على مراتب الناس، فقال في سياق تقسيم الرعية على مراتب، ولفظ

طبقات) - هنا - عام لا يختص بفئة من هذه الطبقات، وإنما هو إشارة إلى تعدد هذه الدلالة جاء في فئات الرعية ومنازلهم من حيث المنزلة الإدارية، أو من حيث الغني والفقير، وقد حوى كتاب الامام في عهده للصحابي مالك الاشر هذه الطبقات الارتباط بعضها ببعض فحاجة الاول منوطة بالثاني وبمجموعهم يقوم صورة المدينة، فبدأ بالجنود؛ لأنهم الاصل شؤون الحياة المادية والمعنوية، ولتنظيم القوانين والأسس التي من شأنها الرفعة والرقي من الشرائع السماوية، ثم الكُتَّاب، وقضاة العدل،.... إلى أن وصل إلى الطبقة الاخيرة وهم (الفقراء والمحتاجون)، وقد ذكر الإمام سبع من طبقات المجتمع الاسلامي في عهده الى واليه على

ص: 16

الكوفة الصحابي مالك الأشتر (رضوان الله عليه)

وهي:

1. جنود الله

2. كِتَابُ (العامة والخاصة)

3. قضاة العدل

4. عال الإنصاف والرفق

5. أهل الجزية والخراج (من أهل الذمة ومسلمة

الناس)

6. التجار وأهل الصناعات

7. الطبقة السفلى: الفقراء والمحتاجون.

قال الإمام علي (عليه السلام) في خطابه للصحابي الجليل مالك الأشتر (رضوان الله عليه):

وَاعْلَمَ: أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْدَلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَمِنْهَا قُضَاةُ
الْعُدْلِ وَمِنْهَا عُمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرَّفْقِ وَمِنْهَا أَهْلُ

ص: 17

الْجَزِيَّةَ وَالْخَرَاجَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسَدِّ لِمَةِ النَّاسِ وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَاتِ وَالْمَسْكِينَةَ وَكُلَّ
قَدْ سَمَّى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ

فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ صَ عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا» (1).

فالرعية عامة الناس، وهي مفردة جمعها رعايا، وهم أناس يخضعون لسلطة الحاكم أو الوالي، فقد قسّم الرعية على طبقات فذكر (الجنود، والكتاب، والقضاة، والعال، وأرباب الجزية من أهل الذمة وأرباب الخراج من المسلمين، والتجار، ومنهم أرباب الصناعات، وذوو الحاجة والمسكنة، ولا بد لهم جميعاً من التجارة لان البيع والشراء لاغناء عنه (2).

ص: 18

1- نهج البلاغة: ك 53، 326

2- ظ: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 34 / 17

قدم الجنود لأهميتهم وأخر التجار واهل الصناعات ثم اردفهم بالفقراء والمحتاجين. وجملة منها جنود الله) اسمية قدم الخبر لأنه ظرف فقال: ولا بد لهم جميعا الا بالتجار وذوي الصناعات؛ فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم(1).

فأوصى بهم؛ لأنهم دعامة من دعائم الاقتصاد،

وقد أخرج الحديث عنهم لاهتمامه بهم.

سنبدا بأولى الطبقات وهي:

1. الجنود:

جمع جند وواحد جندي وهو العسكر. وهم كل صنفٍ من الخلق، وفي الحديث: «الأرواحُ

ص: 19

1- نهج البلاغة: ك 53، 324

جنودٌ مُجَنَّدَةٌ فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها

اختلف»، يستعمل للمفرد والجمع فيقال: هذا جُنْدٌ وهو لاءٌ جُنْدٌ (1).

فالجيم والنون والذال يدلُّ على التجمع والنصة.

يقال هم جنده اى اعوانه ونصّاره، والجند الأرض الغليضة فيها حجارة بيض، واصله الجلد (2).

ويقال للعسكر الجندُ اعتباراً بالغلظة من الجنده،

من الأرض الغليظة التي فيها حجارة؛ لذا يقال لكل مجتمع: جُنْدٌ: نحو: الأرواحُ جنودٌ مُجَنَّدَةٌ وجمعه: أجنادٌ وِجُنُودٌ (3).

ولرُبَّ سائلٍ أن يسألَ لمَ أوصى الامام عليه السلام عامله بهم وجعلهم اولى الطبقات؟ والاجابة

ص: 20

1- ظ: العين: 85-86

2- ظ: مقاييس اللغة: 485 / 1

3- ظ: المفردات في غريب القرآن: 131 / 1

تكون أن اضافة الامام للفظ جنود الله فنسبهم اليه ؛ لتشريفهم وتقديسهم ولمكانتهم فهم من يرفعون راية الاسلام ويدلون الطغاة والاعداء، ولأهم

حصون الرعية، زين الولاية، عز الدين)(1).

قال الإمام: «قَوْلٌ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَ حَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِإِمَامِكَ وَ أَنْقَاهُمْ جَبِيًّا وَ أَفْضَلَهُمْ حِلْمًا مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ وَ يَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُدْرِ وَ يَرَأْفُ بِالضَّعْفَاءِ وَ يَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ وَ مِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ وَ لَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ»(2)، وهم حماة الدولة والمجتمع، واستعار لهم لفظ (الحصون) لأنهم يحفظون الرعية فيحاطونهم كالحصن، وهم زينة للولاية فالوالي بلا جنود لا يبالي به، وهو عز للدين، ولفظ العز لاسم اللازم، ولفظ الأمن من باب اللزوم للجنود، فقد تصدرت هذه الطبقة

ص: 21

1- ظ: في ظلال نهج البلاغة: 396/5

2- نهج البلاغة: ك 53، 324

فئات المجتمع كافة؛ لأنهم حصون الأمة والأمن والدفاع وهم زينة الولاة، وقد جاء النهج بكلا الجمعين (جُنْدٌ وجُنُودٌ)؛ فلكل منها مزية تختلف عن الأخرى، فلفظ (جُنْدٌ) على زنة (فُعَلٌ) من أبنية المفرد، ويدلُّ على صنف من الخلق.

وذكر سيبويه إن الجمع على بناء العدد الأدنى (أفعال) فيقال جند وأجناد وجاءوا ب(فعول) الإرادتهم الكثرة(1).

ومنها قوله «كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وَأَتْبَاعَ الْبَيْمَةِ»(2) فجعل جند المرأة هم طلحة والزبير ومن سار مسارهما للدلالة على التحقير والتوبيخ، زيادة على ذلك في اضافتها إلى لفظ (المرأة) ما يدل على ضعفها، وهذا ما أكده المعنى القرآني في قوله: «جُنْدٌ

ص: 22

1- الكتاب: 576/3

2- نهج البلاغة: ك53، 324

ما هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ» (1).

ف- (أنصحتهم، أنقاهم، أفضلهم) كلها تدل على المفاضلة، وبدأ عهده بفعل الأمر (ولّ)، وجيباً: تمييز القول (أنقاهم)، و (حلماً) تمييز لقوله (أفضلهم)، و (اتكالا) مفعول لأجل الفعل (تدع)، و(أفضلهم عن الغضب) متعلق ب- (يبطيء) ويفيد المجاوزة، وقد تفرع من الجند (إدارة الشرطة وحراس الأمن، إدارة الجيش الحافظ للأمن)، وكُنِّي عن العفة والأمانة بقوله (أنقاهم جييا) وهي صفات ذاتية روحية تتعلق بالجنود أكثر من تعلقها بجباة الخراج

1. أنصح الجند لله والرسول والإمام

2. أظهرهم جييا

3. أفضلهم حلا

4. بطيء الغضب

ص: 23

1- سورة ص: الآية 11

5. يستريح إلى العذر

6. يرأف بالضعفاء

7. ينبو على الأقوياء

8. لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف

وهناك صفات موضوعية:

1. من ذوي المروءات والاحساب

2. من اهل البيوتات الصالحة والسواق الحسنة

3. من اهل النجدة والشجاعة

4. من اهل السخاء والسياسة

ثُمَّ الصُّوقُ بِذَوِي المُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ، وَأَهْلِ البُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسُّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاخَةِ، فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ الكَرَمِ وَشُعَبٌ مِنَ العُرْفِ.

ثُمَّ تَفَقَّدُ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلَا يَتَفَقَّصَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلَا

ص: 24

تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَدَلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ. وَلَا تَدَعُ تَقَدُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ أَتَّكَأَ لَأَعْلَى جَسَدِ يَمِيهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَعْنُونَ عَنْهُ»⁽¹⁾، أَكَدَّ عَلَى أَنْقَاهِمَ جِيًّا: كناية عن الاخلاص والنزاهة، فجعل الإلصاق ب- (ذوي الاحساب، أهل البيوتات الصالحة، أهل النجدة والشجاعة، والسخاء، والساحة)، فجعل الإلصاق بمتابفة التقريب ممن عرفهم الناس بمكارم الاخلاق، ومن جمل تعليماته: ضابطة الاسرة والبيت، و(من) في قوله إنها جماع من الكرم، وشُعَبَ من العرف) زائدة، وعلى قول الاخفش (جماع الكرم) أمّا ابن ابي الحديد فاحتمل كونها تبعيضية على حقيقتها، وفي قوله « تفقد من أمورهم الضمير يرجع الى الجنود لا

ص: 25

فالانتساب لبيت صالح، واسرة معروفة دعامة القيامة، والضابط الثاني : حال الفرد بنفسه ومن صفاته (النجدة، الشجاعة، السخاء، الساحة).
و(ثم الصق): حرف عطف يفيد التراخي، ول من جنودك في الدرجة الثانية من ذوي الأحساب، (أهل النجدة) تراخ ثاني، و(لا يتفامنً) نهى مؤكد، (ينتفعون به) جملة فعلية صفة لقوله: موضعا.

وآثر: اسم تفضيل من الأثرة: أحبهم، على الجندي أن يتصف بأوصاف تستحق مقام الولاية، فقدانات في عهد الامام مدارس ومعاهد لتعليم الضباط وتربية الأمراء والضباط، فيوجه الاسلام بتوجيهات روحية فعلية أن يتصدى للعدو بالروح والايان وليست قوة الجسد وحدها كفيلة بالنصر،

ص: 26

فعلية أن يكون ناصحاً لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وللامام عليه السلام، وأن يكون طاهر القلب ليتجنب الفواحش، وثابتاً في الحلم غير متسلط على نفسه، وعافياً صافحاً عن المذنب، حلياً صبوراً، فإن ذلك كله عوامل هامة في تقوية الجندي ورفع معنوياته. ولا بدّ لأختيار رئيساً للجيش ناصحاً لأئمة، ومخلصاً لدينه: لأن قيادة الجيش عبء ثقيل وخطير (1).

وأكمل الامام (عليه السلام) قائلاً: «وَلْيَكُنْ أَثَرُ رُءُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ.

أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي

ص: 27

الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامِهِ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصِيحُ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطِيَّتِهِمْ عَلَى وُلاهِ الْأُمُورِ، وَقَلْبُهُ اسْتِثْقَالَ دَوْلِهِمْ، وَتَرَكَ اسْتِثْقَالَ انْقِطَاعِ مَدَّتِهِمْ. فَافْتَسَحَ فِي أَمَالِهِمْ، وَوَاصَلَ فِي حُسْنِ الشَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعَدِيدِ مَا أَبْلَى ذُؤُوبَ الْبَلَاءِ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ تَهْزُ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلَا تَصُدِّ مَنْ بَلَاءَ امْرِيٍّ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِيٍّ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا، وَلَا ضَعْفُ امْرِيٍّ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا.

وَازْدُدْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضِدُّ لِمَعَكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَسُدُّ تَبَهُ عَلَيْهِكَ مِنَ الْأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِزْشَادَهُمْ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)، فَالرَّدُّ إِلَى

اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ. وَالرُّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ» (1).

وعليه فإنَّ قائد الجنود محصنا ضد الاغراءات فيكشف النص أن هنالك معانٍ ركز عليها الإمام في شخصية القائد، فأشار بصفات ذاتية تتواءم وعقيدة الإسلام، وأردفها بموضوعية تمت أكثر صلة إلى المفهوم القبلي (2).

وآثر رؤساء الجنود وأمراء الجند من يواسيهم ويوفر لهم المعونة، فإنَّ أراد القائد أن يستمع له الجيش فعليه أن يحسن اليهم ولا يقتصر على خصوص رواتبهم المحدودة ومؤونة أهلهم الذين خلفوهم في منازلهم بعيدا عنهم.

ولا بدَّ لهم من سد حاجاتهم ويتم بتحصيل

ص: 29

1- المصدر نفسه

2- ظ: الخطاب في نهج البلاغة: حسين العمري: 191

الخَراج؛ فقد يكون مالا، وقد يكون محصولاً زراعياً، وبعد تحصيل الخراج لابد من وجود القضاة والعمال والكتاب، وكل الطبقات لابد لها من التجار وذوي الصناعات) مما يلزم ان يتصف به الجندي لكون اياته بروحه وقوة عقيدته.

2. كتاب العامة والخاصة:

فكتاب العامة هم من يحررون الشؤون العامة كالضرائب، والخاصة من يحرر لشخص معين؛ كالقاضي أو الوالي، أو أمير الجيش المتصدرون الكتابة العقود والمعاهدات والحقوق، فَالكَتَبُ: خرز الشيء بسير، والكتاب والكتابة: مصدران، والكتابة: اكتتابك كتاباً تكتبه وتنسخه (1).

وعرّفت أصول حروفه بأن الكاف والتاء والباء أصل صحيح يدلُّ على جمع شيء إلى شيء من ذلك

ص: 30

1- ظ: العين: 342/5

الكتاب والكتابة. يقال: كتبت الكتاب أكتبه كتباً. ومنه الكتاب الفرض، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» (1). الكتاب: معروف وجمعه كُتُب وكُتِب، والكتابة لمن تكون له صناعة مثل الصياغة والخياطة والكتاب: مطلق: التوراة، ويجوز ان يكون القرآن، وهو الصحيفة والدواة، وما كتب على بني آدم من أعالهم، والكتّاب والكتاب معروفان (2).

الكتّاب (صَمُّ أديمٍ إلى أديمٍ بالخياطة، والأصل في الكتابة: التَّظْمُ بالخطِّ لكن يستعار كلُّ واحٍ للآخر، ولهذا سَمِّي كلام الله وان لم يكتب كتاباً، كقوله تعالى :

ص: 31

1- ظ: مقاييس اللغة: 109/5، علماً أن الآية الواردة هي سورة البقرة / 183

2- ظ: لسان العرب: 1/999

ألم * «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ» (1).

وقال (عليه السلام): «ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَابِكَ فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصِصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لَوْجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكِرَامَةُ، فَيَجْتَرِي بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَصِّهِ رَهْ مَلًا وَلَا تَقْصِرْ رُبَّهِ الْغَفْلَةَ عَنْ إِيْرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ، فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطَى مِنْكَ، وَلَا يُضِدَّ عِفْءَ عَقْدِهَا أَعْتَدَهُ لَكَ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقِدَ عَلَيْكَ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلًا.

ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِتَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرَّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصَدُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، وَلَيْسَ

ص: 32

وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ. وَلَكِنْ اخْتَبَرْتَهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَأَعْمِدْ لِأَحْسَنِ نِيهِمْ كَمَا كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَرًا، وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ.

وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ، لَا يَقْهَرُهُ كِبَرُهَا وَلَا يَشْهَتُّ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَعَايَيْتَ عَنْهُ أَلْزِمْتَهُ» (1).

جاء بجمع كاتب على زنة (فَعَال) واذناف كاف الخطاب، وقسّمهم على صنفين (كتاب العامة: الذين يتصدرون لكتابة العقود والمعاهدات، ذهب الشارح ابن ابي الحديد إلى أن المراد بهم الوزراء قائلًا: «الكاتب الذي يشير إليه الأمام هو الذي يسمى الآن في الاصطلاح العرفي وزيرًا، لأنه صاحب تدبير الأمير والنائب عنه في اموره» (2).

ص: 33

1- ظ: نهج البلاغة: ك53، 324

2- ظ: شرح نهج البلاغة: 62/17 وظ: الأحكام السلطانية 2265

وأشار الى الشروط الواجب توافرها في الوزير بقوله: «وَإِخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تَدْخُلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ أَجْمَعَهُمْ» فأختر من أهل الوعي والفتنة بحيث لا يخدع ويؤخذ من غير شعور، ومن أهل الدين والوفاء أيضا، يفى بالعهد، ويحافظ على الأمانة ويقدم الواجب لا يتهاون فيه ويحرص على سمعته وكرامته، ولا تبطره الكرامة وتجعله اخ لك) واختبرهم على مقياس الحقيقة باختلاف

طبيعتها، فالحقيقة الدينية تقاس بالوحي من الله سبحانه، واختيار الكتاب من الوجهة الاخلاقية ورعاية الأمانة والصدقة، فيجب أن يكون تقيا يراد منه مصالح العمل، ومن اخير الرعية، وحافظا للسر، وحسن الأثر ومعروفا بالأمانة وأشار ابن ابي الحديد إلى أن الكاتب هنا (الوزير) لانه النائب عن الأمير واليه تصل مكاتبات العمال وعنه تصدر الاجوبة، وذهب الخوئي إلى أن الكتابة في عصرنا

منصب ممتاز، وفي العصور السابقة ايضا، فكان يشتغل بالكتابة وانشاء ما هم من الكتب، الا انه الايدل على كون الكاتب وزيرا. وهم درجات: كاتب السر وهو من أجمع الكتّاب للأخلاق الصالحة، غير خفيف المزاج، كاتب الديوان عليه مكاتبات العال حافظا يقظا لايسامح في اصدار جواب الكتب فطنا لائقا في تنظيم العهود والعقود بين الوالي والرعايا ويجرى لهم اختبارا ليتعرف على صلاحيتهم(1).

3. قضاة العدل:

العدلُ صفةُ الله وبه اراد في بعثه للأنبياء، ويعد الامام اول من فصل عمل السلطتين التشريعية والتنفيذية، قال (عليه السلام): «تُمَّ لَا قِوَامَ لِهَٰذَيْنِ

(1)

ص: 35

1- ظ: منهاج البراعة: 20 / 227 وظ: في ظلال النهج: 5 / 437

الصَّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقَضَاءِ وَالْعَمَالِ وَالْكِتَابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاوِدِ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَعَاوِدِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا» (1).

فالقضاء: الحكم، وقضى يقضي قضاء وقضية:

حكم، ومنه الوصية قال تعالى: «وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ»، وقضاء الشيء: فناءه وذهابه (2)، فالقاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته، قال الله تعالى:

«فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ» أي أحكم

خلقهن، والقضاء هو الحكم قال تعالى: «فَأَقْضِي مَا أَنْتَ قَاضٍ» اصنع واحكم، ولذا سمي القاضي

ص: 36

1- نهج البلاغة: ك 53، 324

2- ظ: العين: 185/5، علما أن الآية الواردة هي من سورة سبأ / 14

قاضياً ليحكم الأحكام وينفذها(1).

فالقضاء: فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً وكل واحدٍ منها على وجهين: إلهي وبشري فمن الأول قوله تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا» (2).

فأمر بذلك، ومن الثاني قوله: «وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (3)، والقضاء من الله تعالى أخص من القدر، لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير والقضاء هو الفصل والقطع(4).

ص: 37

1- ظ: مقاييس اللغة: 99/5

2- الإسراء / 23

3- غافر / 20 ظ: المفردات: 2

4- ظ: المصدر نفسه

وقد حددت شروطا مهمة لانتخابه منها (ان يختار بالتعيين، وألا تضيق به الأمور، واسع الصدر، عفيفا لا يقضي بالهوى، وألا يعلن الحكم النهائي الا بعد التحرير والتدقيق، والا تطريه الأقوال،. ثم أشار باسم الإشارة (اولئك) أي الذين اكتملت فيهم هذه الصفات (قليلون)(1) قال (عليه السلام):

«وَأِنْ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطَتِهِمْ عَلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ، وَقَلَّةِ اسْتِقْتَالِ دُولِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مَدَّتِهِمْ. فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى دُورَ الْبَلَاءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ تَهْزُ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّكِلَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ»(2).

ص: 38

1- في ظلال النهج: 416/5

2- نهج البلاغة: ك 53، 324

وقرة العين: الفرح والسرور، والحيطرة على زنة (شيمة) تعرض الامام لأمرء العدل، لإرتباط إجراء العدل في البلاد بالجنود من وجوه شتى، فالجند هو المالك والقائم بالسيف في الرعية فالقوة والقدرة على إجراء الامور بيده .

أمور البلاد تحتاج إلى قانون يتضمن تعيين الحقوق والحدود بين الأفراد، وعند وقوع الخلافات والنزاعات وقوة اجراء القوانين فقوى المجتمع التي هي اركان شعب (القوة المقننة والقضائية والمجرية) ومن هنا كان لوجود القضاة أهمية في عهد الامام قانلاً: «ثُمَّ اخْتَرُ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لَا تَصْدِيقُ بِهِ الْأُمُورُ، وَلَا تَمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلَا يَتَمَادَى فِي الرَّأْيِ، وَلَا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ، وَأَوْفَقَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقْلَبَهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ

عَلَى تَكْشِفِ الْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّصَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءٌ، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ، وَأَوْلَيْكَ قَلِيلٌ. ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وَأَفْسَحَ لَهُ فِي الْبَدْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرَّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ، فَانظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا، فَإِنَّ هَذَا الدَّيْنَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى وَتُطَلَبُ بِهِ الدُّنْيَا» (1).

فممارسة القاضي لمهنته أهمية كبيرة، وأوصى بهم فلا يضيق عليهم ولا تمحكهم الخصوم، ويكون مستقلا. «وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فلا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم»، اختلف فيه فذهب ابن ابي الحديد: جعله ما حكا

ص: 40

1- نهج البلاغة: ك 53، 324

اي لجوجا، وقيل: كناية عن كونه ممن يرتضيه الخصوم(1).

وذهب الخوئي قدس سره الى القول: (يمكن أن يكون كناية عن كونه بشدة صلابته في أمره وهيبة اياه و تمسكه بالحق بحيث لا يطمع الخصوم في جعله مكا يمتحنونه هل يقبل الرشوة ام لا وهل يؤثر فيه التطميع والتهديد أم لا(2).

والا يتمادى في الزلة، ولا يحرص من الرجوع الى الحق اذا عرفه فالقضاء من شؤون النبوة، والرئاسة، دقيقا في كشف القضية.

4. عمال الانصاف والرفق

الولاية ممن يعينهم الخليفة أو الوالي لإنصاف

الناس.

ص: 41

1- ظ: شرح النهج: 40/17

2- منهاج البراعة: 20 / 206-205

العالة: أجر ماعمل لك، والمعاملة: مصدر عاملته، والعَمَلَة: الذين يعملون بأيديهم ضرورياً من العمل حَفراً وطيناً، ونقول: أعطه أجر عملته وعمله (1).

العمل: العين والميم واللام أصلٌ صحيح، وهو عام في كل فعل يُفَعَا، قال الخليل: عَمِلَ عَمَلًا فهو عامل، اذا عمل بنفسه. والعمالة: أجر ماعِمل. والمعاملة: مصدر من قولك عاملته، وأنا أعامله معاملة (2).

والعملُ: كلُّ فعلٍ يكون من الحيوان بقصد

فهو أخ من الفعل لأنَّ الفعل قد يُنْسَب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، ويستعمل للأعمال الصالحة

ص: 42

1- ظ: العين: 154/2

2- ظ: مقاييس اللغة: 145/4

والسبيته، لقوله تعالى: وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (1).

ثُمَّ انظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّا لَكَ فَاسَّ تَعْمَلُهُمْ اخْتِبَارًا، وَلَا تُولَّهُمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ، وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ النُّبُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا وَأَصْحُ أَعْرَاضًا وَأَقْلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقًا وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا (2).

جاء في هذا الفصل في ذكر طبقة (العال) واختلف فيهم؛ فقال ابن أبي الحديد هم (عال السواد والصدقات والوقوف والمصالح فانها جماع

ص: 43

1- المفردات: 452 / 2، علماً أن الآية الواردة هي النساء / 124

2- نهج البلاغة: ك 53، 324

من شعب الجور والخيانة(1).

وقال الخوئي: (لا وجه لاختصاص كلامه

بصنف من العال، بل المقصود منه مطلق العال ومن يلي أمر ناحية من البلاد(2).

وزاد البحراني (فيتحفظ من خيانة الأعوان من العال، فأستعار لفظ التقليد لتعليق نسبة التهمة اليه ملاحظة لشبهها با يقلد به من الشعار المحسوس واللفظ في غاية الفصاحة «فإنهم جماع من الجور والخيانة» ففي عهد عثمان العمال الشاغلين للاعمال كانوا شعب الجور والخيانة(3).

وذهب الخوئي إلى أنهم جماع من شعب الجور

والخيانة على الانتخاب بالمحاباة والأثرة من التكلف

ص: 44

1- ظ: شرح نهج البلاغة: 17 / 47

2- منهاج البراعة: 20 / 216

3- ظ: شرح نهج البلاغة: 5 / 173

والتعسف، فهذا الانتحاب جور وخيانة لانه لا ينطبق عليه انه شعب الجور والخيانة الا بالتكلف فهذا الكلام راجع إلى العال الشاغلين
للاعمال قبل حكومة الامام(1)

وذهب محمد جواد مغنية إلى القول: (ان هذا المقطع خاص بعال العامل وحده اي الوالي المنصوب من الامام. أجل، إنَّ الخطاب خاص بظاهره، ولكنَّ المراد به العام، لأنَّ الكفاءة التي ذكرها كشرط للاختيار والتوظيف . تعم كل عامل وموظف دون استثناء)(2) . فاستعمالهم يتم بعد اختبارهم وتجربتهم افعال الامر (انظر، استعمل، توح، اسبغ) و (أهل التجربة: مفعول للأمر توح والمتقدمة صفة ل(البيوتات)، أخلاقاً: تمييز من النسبة في قوله (أكرم)، (إلّا بهم) استثناء مفرغ، وعملهم

ص: 45

1- ظ: منهاج البراعة : 20 / 216

2- في ظلال النهج: 5 / 418

الاشراف على مصالح الناس، وقد اسند الامام كاف الخطاب الى الوالي الصحابي مالك الاشر (ثم انظر في امور عالك)، وقد اوصاه أن مواصفات يجب أن يتحلوا بها امينا ناصحا، كما هو حال اختياره اللولة، وذكر سبب ذلك «فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولة، ولا تصلح الولة إلا باستقامة الرعية» (ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحبهم عليهم إن خالفوا أمرك، أو ثلموا أمانتك، ثم تفقد أعمهم وأبعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأموهم حذوة لهم على استتعمال الأمانه والرفق بالرعية، وتحفظ من الأعوان فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانه اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله، ثم

نَصَبْتُهُ بِمَقَامِ الْمَذَلِّهِ وَوَسَمْتُهُ بِالْخِيَانَةِ وَقَلَّدْتُهُ عَارَ التُّهْمَةِ».

وواضح عودة الضمير في (هم) اليهم قوة »

لهم... وغنى لهم... وحجة عليهم وواضح اسباب الاهتمام بهم فلا يحتاج إلى تفسير، وتجدر الإشارة الى الاهتمام البالغ من قبل الامام الى العال (الموظفين) فيتلافى الامام الضرر والفساد بقوله (اسبغ الأرزاق عليهم)

«ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم» فيعد مبدأ التفتيش عن الموظفين كما هو حال القضاة(1).

قال في حقهم وفي سياق كلامه عن اصحاب الجمل: «فقدموا على عمالي، وخزّان بيت مال المسلمين الذي في يدي، وعلى أهل مصر، كلهم في

ص: 47

1- في ظلال النهج: 419/5-620

طاعتي وعلى بيعتي، فشتتوا كلمتهم، وأفسدوا عليّ جماعتهم، ووثبوا على شيعتي، فقتلوا طائفة منهم غدرا»(1)

أضاف ياء المتكلم للفظ (عماليّ)؛ لينسبهم إليه، وعطف عليهم لفظ (خزان بيت مال المسلمين) وخران على زنة (فَعَال) الذي يدلُّ على المبالغة والكثرة؛ فمجيئه بهذا البناء يدلُّ على كونهم أفضل العال وأنقاهم، وأوصى الامام بجملته من الأمور التي تتعلق بانتخاب طبقة العال: فيجب ان يكونوا من أهل البيوتات الصالحة إذ نجد فيهم كرم الاخلاق وصيانة العرض وقلة الطمع والحلم والتأني في عواقب الأمور(2).

أوصى بأن تسبغ الأرزاق والرواتب عليهم،

ص: 48

1- نهج البلاغة: ك 53، 324

2- ظ: في ظلال نهج البلاغة: 621/5

كيلا تتعرض نفوسهم للاختلاس من أموال الخراج فهم (وكلاء الامة وسفراء الائمة)، وتوَحَّ منهم أهل التجربة والحياء، من أهل البيوتات الصالحة

فالتجربة المعرفة شرط اساسي للكفاءة، واضيف

اليها الأمانة.

5. عمال الخراج:

انتقل الإمام بعد حديثه عن (الجنود، والقضاة، والعمّال) إلى الخراج، والعمالة: أجر ماعمل لك. والمعاملة: مصدر عاملته، وقولنا: أعطه أجر عملته وعمله (1).

فالعين والميم واللام أصل صحيح واحد، و هو عام في كل فِعْلٍ يُفْعَلُ، والعدالة: أجر ماعمِل، والمعاملة: مصدر من قولك عاملته، والعملة: القوم

ص: 49

يعملون بأيديهم ضروب من العمل (1).

قال امامنا (عليه السلام): «وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يَصِدُّ لِحِ أَهْلِهِ، فَإِنَّ فِي صِدِّ لِحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ. وَلْيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ؛ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةِ أَحْرَبَ الْبِلَادِ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسِدِّ تَعَمُّ أَمْرَهُ إِلَّا قَلِيلًا. فَإِنَّ شِدَّ كَوَا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً، أَوْ انْقِطَاعَ شِدْرٍ أَوْ بَالَةً، أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفَتْ عَنْهُمْ بِمَا تَرَجُّوْنَ أَنْ يَصِدُّ لِحَ بِهِ أَمْرُهُمْ؛ وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفَتْ بِهِ الْمُؤُونَةُ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ وَتَرْزِينِ وَلَايَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنًا

ص: 50

1- ظ: مقاييس اللغة: 145 / 4

تَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِيفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ، وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ بِهِمْ؛ فَرَبَّما حَدَّثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ احْتِمَالُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسَهُمْ بِهِ، فَإِنَّ الْعُمَرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلْتَهُ؛ وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَاذِ أَهْلِهَا، وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوَلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقَلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ» (1).

والخراج هو المصدر الوحيد في عصره لخزانة

الحكومة وما يقوم مقام المصارف من سد (أرزاق الجند، رواتب العمال والخدم). ومراده ب- (تفقد أمر الخراج) استيفاؤه من قبل الجبابة كاملاً من دون زيادة أو نقصان، لأنَّ نقصانه ظلم يضر مصالح

ص: 51

1- نهج البلاغة: ك 53، 324

الرعية، وزيادته يضرب من يدفعه، فأوصي عاله بالرفق والاستماع للمصالح. الفرق بين الحج والخراج هو أن الخرج: ما تبرعت به، أما الخراج: مالزمك أدائه، قال بعضهم: الخرج من (الرؤوس) والخراج من الأرض، وهذا يعني أن الخرج مبلغ غير منتظم. وغير متكرر يدفع إلى شخص معين مقابل تقديم خدمة عليه

قال تعالى: «فَقَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا» (1)، أما الخراج فهو مبلغ معلوم يدفع بصورة منتظمة، ومتكررة في نهاية كل حول أو محصول من قبل مستثمري الأرض إلى الدولة (2).

قال الطريحي: (إن اسم الحراج يطلق على

ص: 52

1- الكهف/94

2- ظ: الاسلام والاقتصاد: 50

الضريبة، والفيء، والجزية، والغلة، ومنه خراج العراقين(1).

ولنا في الخراج أنواع: - (الزكاة، الخمس، الجزية، الفيء، الغنيمة)(2)، ويُعدُّ أحد واردات الدولة الإسلامية وهو «الضريبة التي كانت تُدفع لخزينة الدولة عن الأراضي التي احتلها المسلمون حتى لو أسلم صاحبها. ويختلف مقدار الخراج بحسب نوعية الأرض وطريقة ريعها وإستغلالها ونوعية المحصول. وكانت هذه الضريبة عادة تُفرض على محاصيل الحبوب والأشجار المثمرة. وكانت تُدفع سنويا بعد الموسم»(3).

ص: 53

1- مجمع البحرين: 632/1

2- على نحو ما درسناه في اطروحتنا للدكتوراه (ألفاظ الحياة الاقتصادية في نهج البلاغة - دراسة ومعجم -)

3- المرجع في الحضارة العربية الإسلامية: ابراهيم سلمان وعبد التواب شرف الدين: 128

استعمله الإمام (عليه السلام) للدلالة على (خراج الأرض)، قائلاً في كتابه السابق إلى الصحابي الأشتر النخعي (عليها السلام): «ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس»⁽¹⁾، إذ فصل الإمام (عليه السلام) هنا الناس إلى طبقات: وذكر أرباب الخراج من المسلمين، وخصّ بصرف الخراج الجنّد والقضاة والعَمال والكتّاب؛ لما يحكمونه من المعاهد، ويجمعونه من المنافع، ولا بدّ لهم جميعاً من التّجار لأجل البيع والشراء الذي لا غناء عنه⁽²⁾.

إذ قال: «ثمّ لا قوام للجنود إلّا بما يُخرج الله لهم من الخراج الّذي يقومون به عليّ جهاداً..... وليكنن نظرك في عماره الأرض أبغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنّ ذلك لا يدرك إلّا بالعماره؛ ومن طلب الخراج بغير عماره أخرج البلاد، وأهلك العباد،

ص: 54

1- نهج البلاغة: ك 53، 324

2- ظ: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 56 / 17

وَلَمْ يَسْتَقِمَّ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا» (1). فضَّل باسم التفضيل أبلغ) عمارة الأرض على استجلاب الخراج .

إذا لا- حياة للدولة ولا الجنود أو أية هيئة أو فردٍ إلا بالنفقة الكافية لسدِّ الحاجات، ومن البديهي أنَّه لا موارد للدولة إلا بفرض الضرائب وجبايتها وقد أقرَّ الإنكليزي الاقتصادي (آدم سميث) شروطاً أربعة للضرائب: فتفرض على النَّاس بنسبة قدرتهم على تحملها، وتنطبق على فريضة الخمس والزكاة والجزية) في الإسلام وأن تكون معينة، وأن تُجَبَى بدون إزعاج وتُنْتَظَم بحيث لا تُكَلِّف الشَّعب إلاَّ الصَّـروري لخزينة الدولة (2) .

دعوة الإمام (عليه السلام) للصحابي مالكٍ

ص: 55

1- نهج البلاغة: ك 53، 324

2- ظ: في ظلال نهج البلاغة: 400/5-401 . وظ: السياسة المالية في عهد الإمام علي (عليه السلام): 91

(رضوان الله عليه) حين ولّاه إدارة شؤون مصر الإهتمام بأرباب الخراج (وهم المستثمرون الزراعيون)؛ لأن الأراضي التي عليها الخراج أراضٍ واسعة تتميز بالخصوبة وزراعة المحاصيل المهمة كـ(الحنطة والشّعير والتّمير والزّبيب) إذ يتحقق للدّولة فيها مورداً كبيراً، لذا أكد الإمام (عليه السلام) أهمية تفقد أمر الخراج (. فعلى العال أن ينصفوا الناس من أنفسهم ويصبروا على قضاء حوائجهم فهم خزان الرّعية ووكلاء الامّة، فالإمام (عليه السلام) يقرأ المستقبل إذ يبصر نهاية الأحداث قبل بدايتها فالنتيجة ستكون خراب البلاد أو صلاحها، وأوصى الإمام (عليه السلام) بعمارة الأرض أكثر من إستجلاب الخراج . وهو عهد من الرّاعي إلى رعيته فالأمة عيال على الخراج، فأعطى للخراج قيمته، وطريقة صرفه فإن إهتمّ بالأرض وعمارتها تير الرّيح، وانتقل هنا من سياق حديثه عن

الْعَمَّالِ إِلَى ذِكْرِ أَرْبَابِ الْخِرَاجِ، فَقَالَ: تَقْعَدُ أَمْرَهُمْ، الْأَنَّ النَّاسَ عِيَالٍ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ يَقُولُ: اسْتَوْصُوا بِأَهْلِ الْخِرَاجِ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ سَانَا مَاسْمِنُوا. وَزُفِعَ إِلَى أَنْوَشِرْوَانَ (1) أَنَّ عَامِلَ الْأَهْوَازِ قَدْ حَمَلَ مِنْ مَالِ الْخِرَاجِ مَا يَزِيدُ عَلَى الْعَادَةِ؛ وَرَبَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ قَدْ أَجْحَفَ بِالرَّعِيَّةِ، فَوَقَعَ: يَرِدُ هَذَا الْمَالُ عَلَى مَنْ قَدْ اسْتَوْفِيَ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ تَكْثِيرُ الْمَلِكِ مَالَهُ بِأَمْوَالِ رَعِيَّتِهِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَحْصِنُ سَطُوحَهُ بِأَيُّ قَوَاعِدِ بِنْيَانِهِ، ثُمَّ قَالَ: «فَإِنْ شَكُوا ثِقْلًا» أَيُّ: ثَقُلَ طَقٌ. وَهُوَ شَبَهُ الْخِرَاجِ لَهُ مَقْدَارٌ مَعْلُومٌ؛ وَليْسَ بَعْرَبِي خَالِصٌ، وَيَعْنِي الْخِرَاجَ الْمَضْرُوبَ عَلَيْهِمْ، أَوْ ثَقُلَ وَطْأَةُ الْعَامِلِ وَارْتِفَاعُ نِسْبَةِ الْخِرَاجِ. قَالَ: «أَوْ عِلَّةٌ» كِإِصَابَةِ الْغَلَّةِ آفَةً كَالْجِرَادِ أَوْ الْبَرَقِ أَوْ الْبَرْدِ أَوْ إِنْقِطَاعِ شَرِبِ: نَقْصِ الْمِيَاهِ فِي الْأَنْهَارِ، أَوْ مَطَرٍ أَوْ

ص: 57

1- أَنْوَشِرْوَانَ بْنِ قِبَادِ بْنِ فَيْرُوزِ بْنِ يَزْدَجْرَدِ بْنِ بَهْرَامِ وَهُوَ مَلِكُ كَسْرَى

إحالة الأرض أو اتلفت بالعطش أو بالة، قلة مياه الأمطار، فإن لَحَقَهَا ذلك فأمرهم بالتخفيف، وهو بمنزلة التِّجَارَة التي لا بدَّ فيها من إخراج رأس المآل وإنتظار عوده وربِّحِه (1).

فإن شكوا (ثقلًا): إرتفاعا في نسبة الخراج إلى حجم الإنتاج، أو (علَّة): الأمراض التي تُمِيبُ المحاصيل الزراعيًا، والظروف الجوية والمناخية التي تميت المحاصيل، أو إنقطاع في المياه المتأتية من الأنهار، أو بالة: نقصاً في مياه السَّقي من الأمطار؛ لقلتها، أو تلفاً في المحاصيل بفعل الأمطار الغزيرة، أو (عطشًا) بسبب الجفاف.

فإنَّ نسبة الخراج ستقل إلى الحد الذي يُعْطِي التكاليف والخسائر، فمعظم الجباية إنما هي من

ص: 58

1- ظ: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 56 / 17، وظ: منهاج البراعة: 219/20

الفلاحين والتجار، فإن إنقبض الفلاحون عن الفلاحة، وقعد التجار عن التجارة ذهبت جملةً، والدولة هي السوق الأعظم للعالم، ومعظم السواد، ونفقاتهم أكثر مادة للاسواق، وتضاعف الأرباح في المتاجر، فيقل الحراج لذلك، لأن الخراج والجباية في الإعتاد، والمعاملات عائد بالطبع على الدولة بالنقص؛ لقلته عند السلطان بقلة الخراج (1).

وأوصى الإمام (عليه السلام) العاملين على جباية الخراج والصدقات بأداب عامة تتضح في قوله: «إنطلق إلى تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلماً، ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فانزل بائهم من غير أن تخالط أبايتهم، ثم أمض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم

ص: 59

1- ظ: السياسة المالية في عهد الإمام علي (عليه السلام): 104

عليهم، ولا تخدمج بالتحية لهم، ثم تقول، عبادُ الله أرسلني إليكم وليُّ الله وخليفته لآخذَ منكم حقَّ الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم حق فتؤدوه الى وليه. فان قال قائل، لا، فلا تراجع، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه فلا تخيفه، او توعده، او تعسفه، أو ترهقه فخذ ما أعطاك من ذهبٍ أو فضةٍ فاذا كان له ماشية او ابل فلا تدخلها إلا بإذنه»(1)

فوصف الإسلام حق الله ما فرضه الشرع

للمجتمع من ضرائب وهي لبيت المال تُوزع على الرعية بالعدل، فخاطب عامله أمرا له بالإنطلاق على بركة الله حتى يحسن في التصرف مع أهل الخراج، والأيسىء إليهم بالترويع والتهديد والتخويف، أو بالتسلط عليهم وإكراههم على دفع حقوق الله والاعتداء بأخذ الأكثر من المقرر، ثم

ص: 60

فَصَّلَ ذَلِكَ قَائِلًا: بَأْنِ عَلَيْهِ أَلَّا يَسْكُنَ فِي بَيْوتِهِمْ؛ بَلْ يَنْزِلُ فِي مَائِهِمْ (خَارِجَ بَيْوتِهِمْ) لِّلسَّلَامَةِ لَهُ مِنْ آيَةِ إِشَاعَةِ أَوْ قَوْلِ يُسَاءُ إِلَيْهِ، إِذْ أُنَّ السَّكْنَ بَيْنَ الْبَيْوتِ يُعَرِّضُهُ إِلَى التَّعْرِفِ عَلَى الْأُمُورِ وَالْأَسْرَارِ الَّتِي لَا يَرِغِبُ سَكَّانَ الْحَيَّانِ يَفْشُوهَا إِلَى الْغُرَبَاءِ، فَذَلِكَ مِمَّا يُعَزِّزُ مَكَانَةَ الْمَسْئُولِينَ (الْجُبَاةَ) وَيَجْعَلُ لَهُمْ هَيْبَةً فِي عَيُونِ النَّاسِ وَالْخَلِيفَةِ، وَمِثَالُ عَلَى ذَلِكَ رَفْضُ الْإِمَامِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) التَّصَرَّفِ الَّذِي قَامَ بِهِ عِثْمَانُ بَنُ حَنْبَلٍ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ؛ إِذْ دُعِيَ مِنْ قَبْلِ أَهَالِي الْبَصْرَةِ عَلَى وَليمةٍ فَقَبِلَهَا، وَمِمَّا لَاشْكَ فِيهِ أَنَّ هُنَالِكَ أُمُورًا تَرْتَبَتْ عَلَى قَبُولِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ (1).

فَالْخَرْجُ وَالْخَرَجُ: «مَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَالِ فِي السَّنَةِ

بِقَدْرِ مَعْلُومٍ» (2).

ص: 61

1- ظ: منهاج البراعة: 310 / 20

2- ظ: العين (مادة خرج): 108 / 4

قال ابن فارس: (الخاء والراء والجيم اصلاننى وقد يمكن الجمع بينها، إلا أنا سلكنا الطريق الواضح. فالأول: النفاذ عن الشيء. والثاني: اختلاف لونين. فأما الأول فقولنا خرج يخرج خروجا. والخراج بالجسد. والخارج والخارج: الإتاوة؛ لأنه مال يخرج المعطي» (1).

والخَرْج والخراج، واحد عند بعض اللغويين: وهو شيء يخرج القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم (2).

قال الزجاج: الخرج المصدر، والرعية تؤدي الخرج إلى الولاة، والخرج والخراج: الإتاوة: «وهي هدية المَلِك» (3).

ص: 62

1- مقاييس اللغة: 175 /2

2- ظ: معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء: 16

3- ظ: المصدر نفسه

وفي علم المالية الحديث: «هي مبلغ من المال يفرض جبراً على مالك العقار بنسبة المنفعة التي عادت إليه من الأعمال العامة التي قامت بها الدولة أو الهيئات المحلية، ولفظ الأتاوة غير مستعمل عند الفقهاء؛ بل المستعمل عندهم: الكلف السلطانية، النوائب، المكوس، المغارم، الضرائب(1) .

وفسّر ابن الأثير «الخَراج بالصَدَمَان» قائلًا: «يريد بالخراج ما يحصل من غلة العين المبتاعة عبداً كان أو أمة أو ملكاً، وذلك أن يشتريه فيستغله زماناً، ثم يعثر منه على عيب قديم لم يطلعه البائع عليه، أو لم يعرفه فله رد العين المبيعة واخذ الثمن؛ ويكون للمشتري ما استغله، لأن المبيع لو كان تلف في يده لكان من ضمانه، ولم يكن له على البائع شيء(2) .

ص: 63

1- معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء: 16

2- ظ: النهاية في غريب الحديث والأثر: 258

ويجمع على أخراج وإخراج وأخرجة. وفي التنزيل: «أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» (1).

قال الزجاج: الخراج الفيء، والخرج الضريبة والجزية، وقريء: أم تسألهم خراجا، قال الفراء: أم تسألهم اجراً على ما جئت به، فأجر ربك وثوابه خير. والخرج أعم من الخراج وجعل الخرج بإزاء الدحل (2).

قال تعالى: «قَالُوا يَا ذَا الْقُرْتَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا» (3).

وقيل: العبد يؤدي خرجه أي غلته والرعية

ص: 64

1- المؤمنون / 72

2- ظ: معاني القرآن: الفراء: 204/10

3- الكهف / 94

تؤدي الى الامير الخراج. وفي الاصطلاح الفقهي: حقوق تؤدي عنها إلى بيت المال، ذلك أن الفلاحين الذين يعملون فيها قد اكتروها بغلة معلومة، «وليكن نظرك في عمارة الأرض.....) فالعناية بالأرض وزراعتها هو المخرج لحل الأزمة الاقتصادية وهو المورد الأول لبيت المال، فالعمران محتمل ما حملته فعلى الدولة أن تهتم بالمزارعين فهم الذخر الحقيقي(1).

6. التُّجار وذوي الصناعات:

انتقل الامام عليه السلام هنا إلى ما يصلح امر الامة وركناه (التجارة والصناعة فبدأ بالجند، ثم القضاة، والعمال والموظفين، ثم أهل الخراج، والكتّاب، وجعل الطبقة السادسة عن (التُّجار وأهل الصناعة)، اذ حثنا ديننا الحنيف على هذين

ص: 65

1- ظ: الخطاب في نهج البلاغة: 172

العملين. قال الإمام (عليه السلام) بعد أن ذكر الطبقات: «وَلَا قَوْمَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتَّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَاتِقِهِمْ، وَيَقِيمُونَ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفِّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رَفْقُ غَيْرِهِمْ» (1).

والتَّجْرُ والتَّجَارَةُ بمعنى واحد وهو الجمع من

تاجر، أرضٌ مَتَجَرَةٌ: يُتَجَرُّ إليها؟ (2).

فالتاء والجيم والراء: التجارة معروفة، يقال

تاجر وتَجَّرُ بمعنى واحد (3).

أما الصَّنَاعَةُ: فالصَّنَاعُ: هم الذين يعملون بأيديهم، وامرأة صَنَاعٌ: الصناعة الرقيقة بعمل يديها، والمصانع: ما يصنعه العباد من الأبنية والآبار

ص: 66

1- نهج البلاغة: ك53، 324

2- ظ: العين (مادة تجر): 91/6

3- ظ: مقاييس اللغة: 341/3

فالصاد والنون والعين أصل واحد صحيح، وهو عمل الشيء صنْعاً. وامرأة صناع ورجل صنَع إذا كانا حاذقين فاصنعانه (2).

فالتجارة: التصرف في رأس المال لطلب الربح (3).

فبدأ بـ(التَّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ) فَأَوْصَى وَاسْتَوْصَى بِهِمْ، قَائِلاً: «ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ، وَ الْمُضْتَرِّبِ بِمَالِهِ، وَ الْمُتَرْفِقِ بِدَنِيهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَ أَسَبَابُ الْمَرَافِقِ، وَ جُلَابِيهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَ الْمَطَارِحِ، فِي بَرِّكَ وَ بَحْرِكَ، وَ سَدِّ هَلِكِكَ وَ حَيْثُ لَا يَلْتَمِسُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَ لَا يَجْتَرِءُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سَلَمٌ لَا

ص: 67

1- المفردات في غريب القرآن : 94/1

2- العين: 306/1- 305

3- ظ: مقاييس اللغة: 313/3

تُخَافُ بِأَيْقَتِهِ وَصُلْحٍ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ وَتَفْقَدُ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ.

وَاعْلَمْ - مَعَ ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقاً فَاحِشاً، وَشُحاً قَبِيحاً، وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي الْبَيْعَاتِ، وَذَلِكَ بَابٌ مَضْرُوبٌ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ، فَاُمْنَعُ مِنَ الْإِحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مَنَعَ مِنْهُ. وَلِيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَدِّ مَحَا: بِمَوَازِينِ عَدْلِ، وَأَسَدِّ عَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَتَنَكَّلْ بِهِ، وَعَاقِبِهِ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ» (1).

أوصاف وصف بها أهل التجارة فتدلُّ دلالة قاطعة على أنَّ أكثرهم كانوا من الكادحين لسد حاجتهم والعيش بأمان، واستوصى فعل لمفعول محذوف تقديره: أوص نفسك، (وأوص بهم خيراً)

ص: 68

حذف للمفعول اي اوص عالک، ولفظ (المقيم ومابعده بدل من مفصل من مجمل، والمبدل منه الضمير (هم)، ويبيعاً مفعول مطلق لبيع.

وقسم أنواع التّجار الى (المضطرب باله: وهو الذي يدور باله من بلد إلى آخر للكسب، فيجعل ماله متاعا يدور به في البلاد اللبعية يعرض نفسه للخطر، و (المترفق ببدنه) العامل بعضلاته، فانهم مواد المنافع واسباب المرافق) وجاءت (المواد)

جمعا تقييد العموم، و (المنافع) جمعا معرفا مفيدا للاستغراق، فالتجارة تحتاج الى الامتعة والى الاسواق التي تباع فيها، فيؤخذ بدلها متاعا اخرا(1).

وجعل للفظي (أستوص، وأوص) لأنهم يصنعون ما تحتاجه الرّعية من كساء أو غداء،

ص: 69

1- ظ: منهاج البراعة: 20 / 232، وظ: في ظلال النهج: 437 / 5

فعلى الراعي ان يهتم بها، ويبيّن السبب « فإنَّهم مواد المنافع، وأرباب المرافق، وجُلابها من المباعِد والمطارح «يتقلون سلع البلاد التي تزيد عن حاجة أهلها إلى بلاد أخرى(1)» .

«فانهم سلم لاتخشى بانقته وصلح لاتخشى غائلته»(2)، فالتجار والصُّناع (سيلم) مما يدلُّ دلالة قاطعة على أنَّهم في ذلك الوقت من الكادحين من يعيشون بكدِّ اليمين، لايشيرون الفتن، ولايتأمرون مع الأعداء فهم سبب لاستقرار الصلح العالمي والعام بين الشعوب. فالروابط التجارية تفيد الشعوب وتنشأ بينهم رابطة تجارية على أساس تبادل المنافع والحوائج وهي أخوية وودية، وفسرت (البائقة) بالداهية فالتجارة الحرة ليس فيهداهاءً ومك، وأمر بتفقد أحوال التجار لتوصيته لهم

ص: 70

1- ظ: في ظلال النهج: 440/5

2- نهج البلاغة: ك 53، 326

بالخير، في بلادهم وفي الطرق والأماكن البعيدة. وفي الوقت الذي يوصي بهم فهو يحذر وينبه على ألا يحتكروا بالمصالح العليا فيخزنون السلع، ويعدُّ من عيوب الولاية «واعلم». مع ذلك . أنَّ في كثيرٍ منهم ضيقاً فاحشاً، وشككاً قبيحاً»⁽¹⁾

ف-(الضيق الفاحش): حبا بالغافي جلب المنافع، و (شحا قبيحا): يمنع من السماح على سائر الأفراد بما يزيد على حاجته (واحتكارا للمنافع) بلا- حد ولا حساب، (و تحكمها في البياعات) يؤول ذلك الحرص على تشكيل شركات، وانحصارات جبارة فيجمعون حوائج الناس بقوة رؤوس أموالهم. وهو باب مضرة للعامة: أعظم من الأسر الاقتصادي، وعيبٌ على الولاية: أشنع من تسليم الأمة إلى هذه الأسر.

ص: 71

1- نهج البلاغة: ك53، 325

وعطف على قوله (الضيق الفاحش) قوله (تحكما في البياعات)، وهو جمع معرّف بـ(ال) يفيد العموم، في التحكم في البياعات والتسلط على الأسواق.

وقد جاءت التجارة في عهد الإمام حاملة المعنى المجازي، إذ لا يراد بها التعاملات الشُّوقية كـ(الرِّيح والخسارة)؛ بل المراد بها الربح المجازي المتحصل بالثواب، والأعمال الصّالحة سواء أكانت الدنيوية منها أم الاخروية وقال (عليه السّلام) في خطب الملاحم متحدثا عن فتنة بني امية: «مالي أراكم أشباحة بلا أرواح، وأرواحة بلا أشباح، وشاكا بلا صلاح، وتجارا بلا أرباح»⁽¹⁾.

وقد قسم العباد على ثلاثة أقسام: قسم للرجبة في الحصول على منفعة، وهذه عبادة تشبه حالة التاجر الذي يبتغي الربح في تجارة، وآخرون يعبدون

ص: 72

1- المصدر نفسه

خوفاً، ولو لم يخافوا لما عبدوه وحالتهم هذه كحالة العبد الذي يخاف من سيده فيطيعه، اما العبادة الحقيقية فهي العبادة المبنية على أن الله سبحانه وتعالى) يستحق العبادة سواء أنعم أم لم ينعم.

7. الطبقة السفلى:

تعرض الإمام (عليه السلام) الى هذه الطبقة

فوسمها ب- (الطبقة السفلى) وتتألف من الجماهير الشعبية ممّن هم عاجزون عن الحيلة والاكتساب وهم (المساكين والمحتاجون وأهل البؤس والزمانة، وقسمهم على ثلاثة أصناف (القانع): السائل لحاجته والمعتر: السيء الحال ممن لا يسأل حاجته بلسانه « ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ. وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يَصْلِحُهُ.

وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ

ص: 73

ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ، وَتَوَطُّبِنِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقَّلَ»(1)

فقد أوصى فيهم (بحفظ حقوقهم، جعل لهم

قسما من بيت المال، جعل لهم قسا من صوافي الاسلام، فذهب ابن ابي الحديد الى القول فيها هي الأراضى التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وكانت صافية لرسول الله فلا توفي اصبحت للفقراء وما يراه الامام من مصالح الاسلام، ثم أوصى بالطبقة الثالثة إلى (الايتام، والمعمرين)(2).

فقال: ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى

ص: 74

1- نهج البلاغة: ك 53، 325

2- ظ: منهاج البراعة: 262/20، وظ: الديباج الوضي: 2070/5

وَالزَّمَنِي فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً، وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْماً مِنْ غَلَاتِ صَوَافِي الإِسْلامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأَدْنَى وَكُلُّ قَدِ اسْتُرْعِيَتْ حَقُّهُ. فَلَا يَشْعَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطْرٌ، فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافَةِ لِأَحْكَامِكَ الكَثِيرِ المُهِمِّ. فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلَا تُصَدِّعْ عَزَّ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَقَدِّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ العُيُونُ، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ. فَفَرِّغْ لِأَلْبِكَ تَقْتِكَ مِنْ أَهْلِ الخَشْيَةِ وَالتَّوَّاضِعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اَعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرِّعِيَةِ أَحْوَجُ إِلَى الإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلُّ فَاَعْذِرْ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْذِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ. وَتَعَهَّدْ أَهْلَ اليَتِيمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السَّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَنْصَبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلَى الوَلَاةِ تَقِيلاً وَالحَقِّ كُلَّهُ تَقِيلاً وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَيَّ

أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعِدِ اللَّهِ لَهُمْ.

وَاجْعَلْ لِدَوَى الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا تَقَرَّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعَدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يَكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِي غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ».

ثُمَّ احْتَمِلِ الْحُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعَيْ، وَنَحِّ عَنْهُمْ الصِّيْقَ وَالْأَنْفَ يَبْسُطِ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ. وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَيْنًا، وَأَمْنَعُ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْدَارٍ! (1).

جاء تعبير الإمام (عليه السلام) (الطبقة السفلى) ويلحظ شدة حرص الامام على هذه الطبقة؛

ص: 76

لضعفهم وعدم امتلاك حاجاتهم . وقد أخذ الامام (عليه السلام) الفاظ القانع، والسائل، والمعتر من قوله تعالى : «وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (1).

والمحتاجين: الحاء والواو والجيم أصل واحد، وهو الاضطرار إلى الشيء. فالحاجة واحدة الحاجات (2).

وأهل البؤسي: الباء والهمزة والسين أصل

واحد، الشدة وماضارعها، ويقال: رجل ذو بأس وبئس شجاع، فإن نعته بالبؤس قلت بؤس، وهي

ص: 77

1- ظ: رسائل الامام علي: 291، علمًا أن الآية الواردة هي الاعراف / 36

2- ظ: المصدر نفسه : 116/2

الشدة في العيش (1).

الزمني: الزمني في الذكر والانثى، وأزمن

الشيء: طال عليه الزمن (2).

فالزاء والميم والنون أصل واحد يدل على وقت من الوقت. من ذلك الزمان، وهو الحين، قليله وكثيره. يقال زمانٌ وزمنٌ وجمعه أزمنة، والزمانه التي تصيب الإنسان فتقعدة (3).

القانع: القاف والنون والعين أصلان صحيحان،

أحدهما يدل على الإقبال على الشيء، ثم تختلف معانيه مع اتفاق القياس؛ والآخر يدل على استدارة في شيء، فالأول الإقناع: الإقبال بالوجه على الشيء، والإقناع: مدُّ اليد عند الدعاء. وسمي بذلك عند

ص: 78

1- ظ: المصدر نفسه: 328 / 1

2- ظ: العين: 370 / 7

3- ظ: مقاييس اللغة: 23 / 3

إقباله على الجهة التي يمدُّ يده إليها(1). والقناعة: الاجتزاء باليسير من الأعراض المحتاج إليها، وهو السائل الذي لايل في السؤال ويرضى
با يأتية قوله تعالى: «كُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاَهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (2).

والعين والتاء والراء أصل صحيح يدلُّ على معنيين، أحدهما الأصل والنَّصاب، والآخر التفرُّق. فالأول ما ذكره الخليل أن كلَّ عِترٍ كلُّ شيء
نصابه، والثاني الذي يقال له المَرزُجُوش، وهو لا ينبت الا متفرقا(3)، وجاءت (من) بيانية، ولفظ الجلال (الله) المكرر منصوب على
التحذير، والمضاف اليه بعد (كل) وتقديره (هم): وكلهم قد استرعت حقه.

ص: 79

1- ظ: المفردات: 536/2

2- الحج / 39

3- ظ: مقاييس اللغة: 217/4

«واجعل لذوي الحاجات منك قِسْماً تُفَرِّعْ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه الله الذي خلقك، وتعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشُدْرَ طُكِ حتى يكلمك متكلمهم غير متتبع، فإني سمعت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول في غير موطن: (لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُوْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرِ

متتبع)» (1).

ذوي الحاجات: (أهل المسكنة) وعطف عليها بقوله (الفقر) وأختلف في معنى (الفقر): فقيل: هو من لا مال له ولا كسب، والمسكين: له مال أو كسب لكنه لا يكفيه (2).

وقيل بل هو العكس، فالفقير له مال لا يكفيه،

ص: 80

1- نهج البلاغة: ك53، 325

2- ظ: انوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي: 153/3

والمسكين أشدُّ فقراً منه(1) .

وقد ذهب شراح النهج الى اتجاهين في تعريفهم لهذه اللفظة؛ فقيل: هي تدل على شدة الفقر، وقيل: تدلُّ على خمول القدرة وركعة الهمة(2) .

قال ابن فارس: (الحاء والواو والجيم اصل

واحد، وهو الاضطرار إلى الشيء)(3) .

وفرق اللغويون بين (الحاجة والفقر) فالحاجة:

القصور عن بلوغ المطلوب، والفقر:

والزمانة: العاهة، وهي العلل والأمراض التي تصيب الإنسان، وقد تصيب الحيوانات وهو جمع وواحد زَمِين، فخصص لهم الامام جزءا من بيت

ص: 81

1- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: 167/8

2- ظ: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: 38/ 17، وظ: الديباج الوضي: 2531/5

3- مقاييس اللغة: 114/2

مال المسلمين ومن غلات اراضي الخراج، وذهب شرّاح النهج إلى أنّه المتعرض للناس دون سؤالهم(1).

فالحرص: حرس السلطان، وهو اسم مفرد بمعنى الحُرّاس كالخدّام، و(الشرط): قوم من أعوان الحكومة يعلمون أنفسهم بعلامات الخدمة يعرفون بها، المحتاجين والذين يشتكون.

«واجعل لهم قِسِّماً من بيت مالك» أمر الامام أن يكون لهؤلاء قِسِّماً أو نصيباً من ميزانية الدولة فيكون حقاً مفروضاً كرواتب الجنود والقضاة، و«قِسِّماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلدٍ» والمراد ب- (صوافي الاسلام): الأموال المشاع بين المسلمين كافة، ولا تختص بسهم النبي، وهذا ما فهمه ابن أبي الحديد، إذعاش الإمام (عليه السلام) مع المساكين، يشعر

ص: 82

1- ظ: شرح النهج: ابن أبي الحديد: 17 / 89، و ظ: الديباج الوضي: 2071 / 5

بالامهم ويوصي بهم (1).

ص: 83

1- ظ: في ظلال النهج: 449/5

بعد هذه الرحلة الموجزة مع الفاظ طبقات الرعية في عهد الإمام (عليه السلام) الى الصحابي الجليل مالك الاشر (رضوان الله عليه) نوجز أهم ماتوصل اليه بحثنا من نتائج وهي:

أن الإمام (عليه السلام) وضع تقسيم اجتماعي خاص للطبقات، فاليه يرجع الفضل في تقسيمها؛ إذ وضع حماة البلاد وهم الجنود أولى طبقاته وتعليه لذلك.

أولى كل طبقة ما تستحقه وضمن حقها في العيش بسلام وأمان وحرية واطمئنان، وذلك بتوفير الخراج لتوزيعه كمعاش لمختلف الطبقات.

اعطى صفات خاصة لكل طبقة من الطبقات وما ذلك الالأكيده على أهمية الصفات الانسانية في المجتمع الاسلامي.

بدأ بطبقة الجنود؛ لأنها الطبقة الأكثر أهمية في حفظ عرض البلاد وصيانتها من الاعتداء الخارجي، وجعل طبقة الفقراء والمحتاجين آخرها، لأنها لا تقوم ولا تتكفل الأعلى الطبقات المتقدمة.

يعد عهد الإمام (عليه السلام) وثيقة دولية المختلف شرائح المجتمع فقد تضمن الحقوق والحريات الواجب تنفيذها من قبل الوالي الى رعيته، وفي مقابل ذلك ضمن واجبات الرعية إلى الأمة.

ونوصي في نهاية البحث ونأمل من الله سبحانه وتعالى) ومن اللجنة العلمية لهذا المؤتمر أن يحظى هذا العهد بأهمية كبيرة من حيث الدراسة والبحث، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه المنتجبين.

المصادر والمراجع:

خير ما يتدئ به القرآن الكريم.

1. الأحكام السلطانية : لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت 458 هـ-)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2000.
2. الإسلام والاقتصاد الإسلام والاقتصاد (دراسة في المنظور الإسلامي لأبرز القضايا الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة): عبد الهادي علي النجار، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1978.
3. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: لناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت 691 هـ-) تحقيق: محمد عبد الرضا المرعشلي، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، د.ت. (
4. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري (ت 671هـ-)، دار الشعب . القاهرة، د. ت.
5. الخطاب في نهج البلاغة (بنيته وأناطه ومستوياته دراسة تحليلية): د. حسين العمري، ط1، دار الكتب

6. الديباج الوضي في الكشف عن اسرار كلام الوصي « شرح نهج البلاغة » لأبي الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني (ت 749هـ-، تحقيق: خالد بن قاسم بن محمد المتوكل، ط 1، 2003
7. رسائل الامام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: دراسة لغوية، رملة خضير مظلوم البديري، العتبة العلوية المقدسة، 2011، - موسوعة الرسائل الجامعية.
8. السياسة المالية في عهد الإمام علي (عليه السلام): السياسة المالية في عهد الامام علي: رضا صاحب ابوحممد، ط 1، مركز الأمير لاهياء التراث الاسلامي، 2006
9. شرح نهج البلاغة: البحراني شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت 979 هـ-)، ط 1، دار الثقلين، بيروت - لبنان، 1999.
10. شرح نهج البلاغة: عز الدين ابو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد (ت 656 هـ-) تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط 1، دار الكتاب العربي، العراق - بغداد، 2005. 11. علي وحقوق الانسان: جورج جرداق، الدار

العربية للموسوعات، ط1، 2009 12. العين : لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 100 170 هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت. (13. في ظلال نهج البلاغة . محاولة لفهم جديد - محمد جواد مغنية، تحقيق: سامي الغريبي، دار الكتاب الاسلامي، 2005 14. كتاب سيبويه: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر:

تحقيق: عبد السلام محمد هارون، 1999 15. لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد احمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار صادر، بيروت لبنان (د.ت) 16. مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي (ت 1080 ها) تحقيق: أحمد الحسيني، ط1، دار الكتب العلمية النجف، 1386 هـ. 17. المرجع في الحضارة العربية الاسلامية: ابراهيم سلان الكروي وعبد التواب شرف الدين، ط2، ذات السلاسل، الكويت، 1987 18. معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت

207 هـ-، ط 3، عالم الكتب، بيروت، 1933.

19. معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة

الفقهاء: د. نزيه حماد، ط 1، 2008.

20. المفردات في غريب القرآن : لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف ب(الراغب الأصفهاني)،، نزار مصطفى الباز، د.

21. مقاييس اللغة: احمد بن فرس بن زكريا، تحقيق:

عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، د، ت

22. منهج البراعة في شرح نهج البلاغة، لميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، تحقيق: علي عاشور، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- لبنان، 2003

23. النهاية في غريب الحديث والأثر: النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير،
ط 1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1421 . 24. نهج البلاغة والمعجم المفهرس لألفاظه: كاظم محمدي و محمد دشتي،
ط 1، دار التعارف للمطبوعات،

1990

ص: 89

مقدمة المؤسسة...5 توطئة...9 الطَّبة: 13... سنبدأ بأولى الطبقات وهي: 19... 1. الجنود: 19... 2. كُتَّاب العامة والخاصة: 30... 3.
قضاة العدل: 41... 4. عمال الانصاف والرفق : 41... 5. عال الخراج: 49...

6. التُّجار وذوي الصناعات : 65 ...

7. الطبقة السفلى : 73... الخاتمة... 84

المصادر والمراجع: 86...

ص: 90

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

